عطشان ... يا صبايا

أشعر أني لم ترو خلاياي الليلة
من قاموس الجسد ،
أشعر ان قميصي لم يبتل بأسلاك الزبد ...
أني منفيٌ عن نفسي
أتحسس في الظلمة شفتيّ بأظفار يدي
أسجن هجسي !
أبتر أظفار هواياتي ،
أتقنع بالخمرة والتبغ ،
أداري خوفي بالسهر المطوط ...
واستمهل لهب الساعة ...
ان يحتمل بقائي معه في غرفة شوقي المستعره ،
أتناول من دفتري المغبر حكايه ،
أتثاءب في وجه الموسيقا الضجره ،
وأعاود تفكيري بالظمأ الناغل في جسدى ،
أتساءل والساعة بعد الثالثة عن الاصحاب ،
أتجسس في الليل عليهم ،
أين هم الآن ؟.
أتلمس آثار خطاهم فوق ظلال
أزقة هذا الصمت البارد ،
وأهوم في وقفتي العزلاء على كل المنعطفات ،
أمتدُ وراء الهمسة كالمرتاب ،
أقفو أثر الريح الشارد
أتلاعب بالالفاظ ، بوقع الوسن الرنان ،
(.... يا أهلي ، يا زراع الزمن الملعون ،
لم يبق لنا في هذي الارض العاقر مأمل ،
جفت أضرعها هذي التربة يا أهلي ... غار الجدول ؟
خاف الجدول ،
غنى ، رندح ، لولب ،
غاض الجدول ،
فلماذا نزرع اغنية في هذا الحقل المأفون ؟..)
والريح وراء الصوت تولول ،
الريح حوالي : تلف ، وتركض من زاوية نحو الأخرى ،
الريح ظلال وعقارب ،
الريح تحارب ،
تكنس أرض شكوكي من كل الورق الأصفر ،

تتسرب تحت ثيابي ... أعرى
ترشقني بالكلمات فأكفر
و ... تقود خطاي الى مقبرة تحت الاقواس الحجريه
ما فيها غير بقايا قبر ومقاعد ورقيه ..
أهتف بالميت المتجلد تحت الحجر المرتعد :
أن انهض يا موت
فيردد صوت الريح الصوت ،
ـ أتراجع خطوه
أتقدم خطوه :
يا ميت قم من موتك
يا حيّ تحرك في خوفي
أنقذني من خوفك
وتصوّت كل الاشياء
تتنادى كل الجدران بصوت واحد :
تتهاتف كل الاجراس العالقة بأضلاعي
وتعدد الوان الاسماء
وتعود من الافق الاصداء :
واحد ، واحد ، واحد !
وفجأه
أسمع مثل أزيز سرّى
ويقف الشعر على رأسي
وأرى وجه الموت المثوى :
... هذا ولدي ،
هذا وجهي ،
هذا طيار من اخوة حزني
ذاك رفيق يعرفني يطلب دفني !
وأهادن خوفي ثانية :
أتنصت لوجيب القلب فأعرف أني حيّ
ابتعدي يا ريح الليل الثلجيه
ذرّي في عين أحبائي العظميه
قطرة دمع من عين أحبائي الضوئيه
« عطشان يا صبايا » .
دمعي لا يطفي شفتيّ ..
... أما الموسيقا يا رواد القمر النازف
فالموسيقا عربات

تحمل من كل بلاد الناس الى الناس حكايات
تحمل لي موتى الكلمات ؟...
تقرع صدر الشارع دوما نحو القبر المتهدم
تبتعد ، فينطفيء الصوت و ... روح الصمت تخيم
(... يا أهلي ، يا سكان الجرم الواجم يا أهلي
« لم يبق لنا في هذي الارض سوى الموت »
لم يسمع أحد منكم صوتي :
« عطشان يا صبايا »
عطشان حتى الموت
والظلمة صوت
الوحشة سوط
العزلة موت
الصمت شبيه بالموت ....
.... ويدي لا تدرك غير يدي الليل
وأحاول ان انسى ظمئي في الليل
ان انسى ان « الجسد حزين »
ان أسلو ان الوطن حزين
ان ابعد عني شبح العربات الذاهبة
خلال الليل الى المنفى
ان اهمل من ذهني وجه سجين
ان اترك لضواري البرية قلب حزين
الا تذكر وجه الاطفال الجوعى
لكن يدي لا تدرك غير يدي الليل !!
... وانا يا اهل صبايا الحي
عطشان
أحبو ، أزحف نحو الماء وبي خوف من ذاك الجني
فلقد فاجأني يوما وانا أحبو
فتضاحك من خوفي ، وتساخر من رعشة كفي
يا أهل الحي ....
حولوا ما بيني هذا الليل وما بين المي ،
ـ لا تقولوا مسهد ، يبعد الخوف أسود ،
انني ها هنا فتى أعرف الليل ، سيد ـ
لكني أعرف جسدي ، أعرف أبعاد الشوق
وآفاق الموسيقى
أعرف عربات النفي القارعة بلاط شبابي الفرقى ..
وأتوق لضمة وجد من تمثال القش
الحارس مقبرة الاحباب
أتشهى قبلة حب لا تنسى
وأموت على قبر الاعشاب
(والليل طويل يا أهلي ، ونعيش بلا من او سلوى تأتينا
في هذي الارض العاقر
ورياح الليل خماسيه ..

وعلى مفترق الطرق الجسديه
جني غادر ...
وأنا العطشان الى الماء الصافي
فاسقوني يا صبايا .....
عبثا نحمل أوعية ، ونسافر نحو النبع الشافي
فالاوعية بلا قعر يا أهلي
ومياه النبع قوافي ....)
واذا ما انتصف الليل وشدتني الرغبة للشاطيء
نحو البحر
هاجت في الحمى فتذكرت الماء المالح
وغصصت بدمع القهر ...
أتذكر اخواني ورفاقي ،
وزبيب الصدق المهروس على بوابة هذا العصر
ووحيدا المح نفسي في مرآة الماء المالح
أنضو عن جسدي ثوب المكر ...
(... يا أهلي ،
جف الضرع ، ومات الزرع ، وأنتم تنتظرون الفيث
وأنا معكم
آكل من خبزكم اليابس
أشرب من مائكم الآسن
الا أن الريح هباب
والضيف المقبل ليس سحاب !
... وطن الموسيقا ليس الجسد العطشان
وحليف الموت القادم من خلف بحور الليل
هو الانسان .
وأنا عطشان ،
اني عطشان ...
فأسقوني من نبع جراركم الفارغة الوسنى
قطرة ماء
أسقوني ، اسقوني دمعة حب
يا كل صبايا الحي الوضاء
او دلوني أين الماء ؟
آه دلوني أين الماء ؟
« الجسد حزين وا أسفاه »
أين الماء
« الوطن حزين .. » أين الماء ؟؟
وصبايا الحي جرار عطشى :
أين الماء ...
دلوني
دلوهن ، وقولوا :
أين الماء ؟؟

دمشق

علي الجندي